

دلائل الإعجاز

ويقولُ : لم تَرَ زيداَ وإنما رأيتَ فلاناَ . فتقولُ : بل لم أرَ إلاَّ زيداَ . وعلى ذلك قولُهُ تعالى : (ما قلتُ لهم إلاَّ ما أمرتَنِي به أنِ اعبدُوا اللَّهَ رَبَّي وَرَبَّكُمْ) لأنه ليس المعنى أَني لم أَرِدْ على ما أمرتَنِي به شيئاً ولكنَّ المعنى أَني لم أدعُ ما أمرتَنِي به أن أقولَه لهم وقلتُ خلافَه . ومثالُ ما جاء في الشعرِ من ذلك قولُهُ - السريع - : .

(قَدْ عَلِمْتَ سَلَامِي وَجَارَاتُهَا ... مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا) .
 المعنى : أنا الذي قَطَّرَ الفارسَ وليسَ المعنى على أَنَّهُ يريدُ أن يَزْعُمَ أَنَّهُ
 انفردَ بأنْ قَطَّرَهُ وَأَنَّهُ لم يَشْرِكْهُ فيه غيره .
 وهاهنا كلامٌ ينبغي أن تَعْلَمَهُ إِلَّا أَني أَكْتُبُ لَكَ مِنْ قَبْلِهِ مَسْأَلَةً لَأَن فِيهَا عَوْنٌ
 عليه . قوله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) في تقديم اسمِ
 عزٍّ وجلٍّ معنًى خلافُ ما يكونُ لو أُخْرِجَ . وإنما يبيِّنُ لَكَ ذَلِكَ إِذَا اعتبرتَ
 الحكمَ في " ما " و " إلا " وحصَّلتَ الفرقَ بينَ أن تقولَ : ما ضربَ زيداً إِلَّا عمرو
 وبينَ قولِكَ : ما ضربَ عمرو إِلَّا زيداً . والفرقُ بينهما أنك إِذَا قلتَ : ما ضربَ زيداً
 إِلَّا عمرو فقدَّمْتَ المنصوبَ كان الغرضُ بيانَ الضَّارِبِ مَنْ هُوَ والإخبارَ بِأَنَّهُ
 عمرو خاصة دون غيره وَإِذَا قلتَ ما ضربَ عمرو إِلَّا زيداً فقدمتَ المرفوعَ كان الغرضُ بيانَ
 المضروبِ مَنْ هُوَ والإخبارَ بِأَنَّهُ زيدٌ خاصَّةٌ دون غيره .

وإذ قد عرفت ذلك فاعتبر به الآية . وإذا اعتبرت بها به علمت أنَّ تقديم اسم
 □ تعالى إنما كان لأجل أن الغرض أن يُبيِّن الخاشعون مَنْ هُمْ ويخبر بأنهم
 العلماءُ خاصَّةٌ دونَ غيرهم . ولو أُخِّر ذكرُ اسمِ □ وقدَّم العلماءُ فقليل : إنَّما
 يخشى العلماءُ □ لصارَ المعنى على ضدِّ ما هو عليه الآن ولصارَ الغرضُ بيانَ
 المخشِيِّ مَنْ هو والإخبارَ بأنَّه □ تعالى دونَ غيره . ولم يَجِبْ حينئذٍ أن تكونَ
 الخشيةُ مِنْ □ تعالى مقصورةً على العلماءِ وأن